تقديس الأرض
بين الممدوح والمذموم شرعًا

د. سالم حسن الكندري (*)

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

وبعد ...

فلقد خلق الله تعالى الإنسان ، وكرمه على كثير من الخلق ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (1) . وأنعم عليه نعمًا كثيرة ظاهرة وباطنة ، وأمره أن يعبد الله وحده لا شريك له ، كما قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (2) .

ومن النعم أنه تعالى منح الإنسان العقل ؛ ليميز به الخير من الشر ، وأرسل الرسل ، وأنزل معهم الوحي ، كما قال تعالى : ﴿ رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (3) ، واختار محمدًا ﷺ

(*) قسم العقيدة والدعوة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الكويت .

(1) سورة الإسراء : الآية (٧٠) .

(2) سورة الذاريات : الآية (٥٦) .

(3) سورة النساء : الآية (١٦٥) .

رسولاً للعالمين وخاتمًا للرسالات ، وقد تم الدين قبل موته ﷺ ، ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ [1] .

وحَفِظَ الله تعالى هذا الدين حين تعهد بحفظ القرآن الكريم ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [2] .

ومن الأمور التي حفظت – توحيد الله تعالى ، فقد قيَّض الله تعالى من العلماء من يدافع عن دينه ويدعو إلى توحيده وإفراده بالعبادة ، ومحاربة كل وسيلة تدعو إلى التقديس المذموم ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى :

"فإن المسلمين لما فتحوا تستر ، وجدوا هناك سريرَ ميتٍ باق ، ذكروا أنه "دانيال"[3] ، ووجدوا فيه ذكر الحوادث ، وكان أهل تلك الناحية يستسقون به، فكتب في ذلك أبو موسى الأشعري إلى عمر ، فكتب إليه عمر أن يحفر ثلاثة عشر قبرًا ، ثم يدفن في الليل في واحد منها ، ويخفي قبره ، لئلا يفتن الناس به"[4] .

وعن ابن سويد قال : خرجت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من مكة إلى المدينة ، فلما أصبحنا صلى بنا الغداة ، ثم رأى الناس يذهبون مذهبًا

---

(١) سورة المائدة : الآية (٣) .

(٢) سورة الحجر : الآية (٩) .

(٣) دانيال : أخبر عنه ابن كثير أنه نبي من الأنبياء . البداية والنهاية ٢ : ٤٠ – ط الثانية – مكتبة المعارف – بيروت – ١٩٧٧م .

(٤) انظر : الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢٧ : ١٧١ جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي ، وابنه محمد – طباعة الهيئة العامة للرئاسة والإفتاء ، المملكة العربية السعودية .

فقال : أين يذهب هؤلاء ؟ قيل : يا أمير المؤمنين ، مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ هم يأتون يصلون فيه . قال : "إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا ، يتبعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبيعًا ، من أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل ، ومَنْ لا ، فليمض ولا يتعمدها"[١] .

وعن نافع : أن الناس كانوا يأتون شجرة بيعة الرضوان ، فقطعها عمر [٢] . فأين نحن من حكم عمر بن الخطاب - ﷺ - فما نراه اليوم من شرك ظاهر بتقديس الأرض بحق من دفن فيها من الأنبياء والصالحين والأولياء، فأصبحت المقابر والأضرحة معبودات من دون الله تعالى ، وقد ذكر ابن حجر - رحمه الله تعالى - في فتح الباري وعنون بـ "باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان" واستدل بقول الرسول ﷺ : "لا تقوم الساعة حتى تضطرب إلْيَات نساء دوس على ذي الخلصة[٣] " وذو الخلصة : طاغية دوس التي كانوا يعبدونها في الجاهلية[٤] .

فواقع زماننا هو ما حكاه ابن حجر ، فأردت في هذا البحث بيان منزلة التقديس ، والتفريق بين الممدوح والمذموم ، وخاصة بعد حرب العراق ، حيث

---

(١) انظر الفتاوى ٢٧ : ١٧١ .

(٢) انظر إتحاف الوئام في فضائل المسجد الأقصى ص : ١١٧ - تأليف أبي عبد الرحمن المقدسي / إصدار لجنة العالم الإسلامي ، جمعية إحياء التراث الإسلامي - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م - الكويت .

(٣) ذو الخلصة : هو بيت فيه صنم لدوس وخثعم وبجيلة وغيرهم ، وقيل : ذو الخلصة الكعبة اليمانية التي كانت باليمن ، وقيل : اسم الصنم نفسه ، النهاية في غريب الحديث : ٢-٦٢ .

(٤) فتح الباري للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني ١٣ : ٧٦ رقم ٧١١٦ - طبعة دار الفكر ، المكتبة السلفية .

أصبحت المزارات ، والكلام حول قدسية النجف وكربلاء ، أمرًا متعارفًا عليه في إعلامنا ، وتفضيل هذه البقاع على غيرها من البلاد ، فأصبحت العبادة في هذه البقاع من القربى والزلفى إلى الله تعالى ، وهي من صميم الشرك بالله، فكان من الواجب بيان هذه المسألة التي ترجع أهميتها إلى عدة أسباب منها :

١- بيان معنى التقديس ، والتفريق بين الممدوح والمذموم .

٢- أهمية الانتماء إلى الأرض دون تقديسها .

٣- أهمية بيان العقيدة السليمة في التقديس .

٤- دراسة الظاهرة وعلاجها .

وقد جعلت البحث مكونًا من مقدمة ومطلبين ، وكل مطلب على مباحث، ثم الخاتمة .

المطلب الأول : **تعريف التقديس وبيان التقديس الممدوح** ، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : معنى التقديس .

المبحث الثاني : التقديس الممدوح .

المبحث الثالث : حكم شد الرحال إلى المساجد الثلاثة .

المطلب الثاني : **التقديس المذموم** ، ويشمل أربعة مباحث :

المبحث الأول : الجهل بالدين واتباع الهوى .

المبحث الثاني : اتباع اليهود والنصارى .

المبحث الثالث : الوطنية .

المبحث الرابع : حرب العراق .

ثم الخاتمة ، وفيها العلاج ، وما توصلت إليه من نتائج .

المطلب الأول

معنى التقديس وبيان الممدوح منه .

المبحث الأول : معنى التقديس

تعريف التقديس لغةً واصطلاحًا :

أ-تعريف التقديس لغة :

قدس : القاف والدال والسين أصلٌ صحيح ، وهو في الكلام الشرعي الإسلامي يدل على الطهر .

ومن ذلك الأرض المقدسة ، وهي المطهَّرة ، وتسمى الجنَّة حظيرة القدس ، أي الطُهر ، وجبرائيل عليه السلام : روح القدس ، وكل ذلك معناه واحد ، وهو الطهر(١) .

والقُدُس : تنزيه الله تعالى عن العيوب والنقائص .

والتقديس : التطهير والتبريك ، وتقدَّسَ : أي تطهر ، ومنه بيت المقدس، أي البيت المطهر ، أي المكان الذي يتطهر به من الذنوب ، والقدس : أي المبارك(٢) .

والقدوس : صفة من صفات الله تعالى : أي هو الطاهر من العيوب والنقائص ، وهو أيضًا المنزه عن كل ما تحيط به العقول ، أو يصوره الخيال

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٢ : ٣٨٨ لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى – ١٩٩٠م .

(٢) لسان العرب ٦-١٦٨ لابن منظور ، والمعجم الوسيط ، مادة "قدس" ، مجمع اللغة العربية بمصر ، تقديم إبراهيم مصطفى وغيره ، دار الدعوة – ١٣٨٠هـ .

أو تحوم حوله الأفكار . فهو سبحانه المنزه عن كل وصف يدركه حس ، أو يسبق إليه وهم ، أو يختلج به ضمير ، أو يقضي به تفكير .

من هذه التعاريفات نجد أنه لا يمكن أن يدعي الإنسان قدسية أرض بعينها ، أو فرد من الأفراد ، أو جماعة ، إلا إذا اختار الله تعالى ذلك وحكم به، فهو المتفرد بالخلق والاختيار ، قال الله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

ب-تعريف تقديس الأرض اصطلاحا :

هو رفع الأرض منزلة غير التي أنزلها الله إياها ، معتقدًا أن لها من القداسة الذاتية - ما يستوجب الخضوع والذل والإذعان في العبادة ، دون الرجوع إلى ميزان الكتاب والسنة ، فهذا التقديس مُحرَّم ، لكن لا مانع من تقديس الأرض التي قدّسها الله تعالى :

المبحث الثاني : التقديس الممدوح

فضل مكة المكرمة وحكم تعظيمها :

"مكة" : عَلَم على البلد المعروف الذي فيه بيت الله الحرام ، ولها أسماء كثيرة منها : بكّة ، وأم القرى ، والبلد الأمين ، وأسماء أخرى(٢) . ومكة -شرفها الله - كلها حَرَمٌ ، وما حد لها .

---

(١) سورة القصص : الآية (٦٨) .

(٢) إعلام الساجد ص : ٧٨ ، ٨٢ ، تصنيف محمد بن عبد الله الزركشيّ - تحقيق "أبو الوفا مصطفى المراغي" - ط. الثانية - القاهرة - ١٩٨٩م ، وانظر : الموسوعة الفقهية : ٣٨ : ٣٧٤ - وزارة الأوقاف - الكويت - الطبعة الثانية - ١٩٩٠م .

وقد دلت الأدلة الشرعية على وجوب تعظيم مكة : فعن أبي شريح العدوي أنه قال لعمرو بن سعيد ، وهو يبعث البعوث إلى مكة : "ايذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ للغد من يوم الفتح ، فسمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به ، إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن مكة حرمها الله ، ولم يُحرمها الناس ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ، ولا يعضد[1] بها شجرة ، فإنْ أحد ترخّص لقتال رسول الله ﷺ فقولوا له : إن الله أذن لرسوله ﷺ ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي ساعة من نهار، وقد عادت حُرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، ولْيبلغ الشاهدُ الغائبَ . فقيل لأبي شريح : ما قال لك عمرو ؟ قال : أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يُعيذ عاصيًا ، ولا فارًا بدم ، ولا فارًا لِخَرْبَه"[2] خَرِبَه : بلية[3] .

وعن عبد الله بن عدي بن الحمراء عن النبي ﷺ أنه قال لمكة وهو واقف بالحزورة : "والله إنك لخير أرض الله ، وأحبُ أرضِ الله إلى الله ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجت" .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – عن مكة :

"فقد ثبت أنها خير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله ، وإلى رسوله. وهذا صريح في فضلها"[4] .

وذهب أبو حنيفة، والشافعي، وأحمد، إلى أن مكة أفضل من المدينة .

---

(١) عضد الشجر من باب ضرب : قطعه . مختار الصحاح : "عضد" .

(٢) الخرْبة : بفتح فسكون الزلة والكلمة القبيحة والخَرِبة : بفتح فكسر : موضع الخراب "المعجم الوجيز" .

(٣) رواه البخاري برقم (١٨٣٢) ، فتح الباري ٤ : ٤١ .

(٤) الفتاوى لابن تيمية ٢٧ : ٣٦ .

ولقد ذكر ابن حجر رحمه الله تعالى ، في فتح الباري ، تعظيم هذه الأرض ، فقال : "باب لا يُعْضَدُ شجر الحرم ، ولا يحل القتال بمكة[1] ، بل إن الحرم ومنه البلد الحرام بمعني الممنوع ، والحرمة ما لا يحل انتهاكه ، والحرمة المَهَابة ، وهي اسم بمعنى الاحترام .

وفي الاصطلاح يطلق على مكة ، وما حولها ، يقول الماوردي : "أما الحرم فمكة ، وما طاف بها من جوانبها إلى أنصاب الحرم"[2] .

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [3] :

"هي مكة ، وهم قريش ، أمّنهم الله تعالى فيها"[4] .

ولقد حرم الله سبحانه وتعالى في الحرم المكي كثيرًا مما ليس بِمُحَرَّمٍ في غيره ، كالصيد ، وقطع النبات ، والسبي ، والغارة ، والقتال .

فمكة لها حرمتها ، وأقسم الله بها في كتابه ودعا لها إبراهيم – عليه السلام – وهي أحب البلاد إلى الله ، ولا يداخلها الدجال[5] ، ويضاعف ثواب الصلاة في المسجد الحرام[6] .

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح لأبي المظفر ، يحيى بن محمد الحنبلي ١ : ٣٠٤ .

(٢) فتح الباري ٤ : ٤٢ .

(٣) سورة العنكبوت – آية ٦٧ – تفسير القرطبي : الجامع لأحكام القرآن – المجلد ١٣ – ص ٣٦٣ .

(٤) الأحكام السلطانية للماوردي ص١٥٦ ، ١٦٤ ، وانظر الموسوعة الفقهية ١٧ : ١٨٤ .

(٥) من حديث أنس عن النبي ﷺ : "ليس بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة .." رواه مسلم ٤ : ٢٢٦١ .

(٦) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ : "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام" رواه البخاري ٣: ٦٣ .

فضل المدينة المنورة وحكم تعظيمها :

لقد كانت هجرة الرسول ﷺ بعد اضطهاد وإيذاء قريش له إلى المدينة، وبها انطلقت الدعوة إلى الإسلام وانتشرت ، وأخبر المصطفى ﷺ بفضائل كثيرة للمدينة المنورة ، وإليك بعضًا منها :

١-بركة الإنتاج في المدينة :

فعن علي بن أبي طالب قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كان بحرة السُقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص ، فقال رسول الله ﷺ : "ايتوني بوضوء" فتوضأ ، ثم قام فاستقبل القبلة ، فقال : "اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك ودعا لأهل مكة ، وأنا عبدك ورسولك ، أدعوك لأهل المدينة : أن تبارك في مُدِّهم ، وصاعهم ، مثل ما باركت لأهل مكة ، مع البركة بركتين"(١) .

٢-فضل الموت بالمدينة :

وعن ابن عمر قال : قال النبي ﷺ : "من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ، فإني أشفع لمن يموت بها"(٢) .

قال الطيبي : " أي أدركه الموت بها ، وليس ذلك في استطاعته بل هو إلى الله تعالى ، لكنه أمرِ بلزومها ، والإقامة بها بحيث لا يفارقها فيكون ذلك سببًا لأن يموت فيها ، فأطلق المسبب وأراد السبب ، كقوله تعالى(٣) : ﴿ فَلاَ

---

(١) رواه الترمذي ٣٠٧٣ وقال الألباني : صحيح .

(٢) رواه ابن ماجه ٢٥٢٦ ، والترمذي ٣٠٧٦ ، وقال الألباني : صحيح ، صحيح ابن ماجة برقم ٥٧٢٥ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٣٢ .

تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١) . وليس معنى ذلك أن يفارق المسلم بلده لأجل الموت في المدينة ، فهو خاص بمن عاش في المدينة ، أو عمل بها أو زارها وأدركه الموت .

٣-المدينة تنفي الخبيث وتمسك الطَيِّب بها :

وعن جابر : أن أعرابيًا بايع رسول الله ﷺ على الإسلام ، فأصابه وعك بالمدينة ، فجاء الأعرابي إلى رسول الله ﷺ ، فقال : أقلني بيعتي ، فأبى رسول الله ﷺ ، فخرج الأعرابي ، ثم جاءه ، فقال : أقلني بيعتي فأبى ، فخرج الأعرابي ، فقال رسول الله ﷺ : إن المدينة كالكير تنفي خبثها ، وتنصع طيِّبها"(٢) .

وعن أبي هريرة - ﷺ - قال : قال رسول الله ﷺ : "أُمرت بقرية تأكل القرى ، يقولون : يثرب ، وهي المدينة ، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد"(٣) .

فحديث جابر ، وأبي هريرة ، فيهما تفضيل المدينة على غيرها بما خصها الله به من أنها تنفي الخبث ، وهو قول ابن عبد البر ، ولكن ليس الوصف المذكور عامًا لها في جميع الأزمنة ، بل هو خاص بزمن النبي ﷺ لأنه لم يكن يخرج منها رغبة عن الإقامة معه إلا من لا خير فيه ، وقال عياض نحوه، وأيده بحديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم "لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها ، كما ينفي الكير خبث الفضة ، قال : والنار إنما تُخْرِج الخبث والرديء ، وقد خرج من المدينة بعد النبي ﷺ جماعة من خيار

---

(١) تحفة الأحوذي ١٠ : ٤١٦ .

(٢) رواه البخاري ، برقم ٧٣٢٢ .

(٣) فتح الباري ٤ : ٨٧ رقم الحديث ١٨٧١ .

الصحابة ، وقطنوا غيرها ، وماتوا خارجها ، كابن مسعود ، وأبي موسى، وعلي ، وأبي ذر، وعمار، وحذيفة ، وعبادة بن الصامت ، وأبي عبيدة ، ومعاذ، وأبي الدرداء وغيرهم، فدل على أن ذلك خاص بزمنه ﷺ بالقيد المذكور .. [١] .

فالمذموم من خرج منها كراهة لها ، ورغبة عنها ، كما فعل الأعرابي المذكور ، وأما المشار إليهم فإنما خرجوا لمقاصد صحيحة كنشر العلم ، وفتح بلاد الشرك ، والمرابطة في الثغور ، وجهاد الأعداء ، وهم مع ذلك على اعتقاد فضل المدينة وفضل سكناها[٢] .

هذا ، وقد عنون ابن حجر – رحمه الله تعالى – في فتح الباري "كتاب فضائل المدينة" الجزء الرابع (ص/٨١) وما بعدها وذكر حرمة المدينة ، وفضلها ، ومن رغب عن المدينة ، وإثم من كاد لأهل المدينة ، ولا يدخل الدجال المدينة ، والمدينة تنفي الخبث ، وهذا كله يدل على فضل مدينة الرسول ﷺ .

ويؤيد ما قلناه حديث أبي هريرة – ﷺ – أن رسول الله ﷺ قال : "لا يصبر على لأواء المدينة وشدّتها أحد ، إلا كنت له شفيعًا – أو شهيدًا – يوم القيامة" [٣] .

لقد ذهب جمهور الفقهاء (المالكية ، والشافعية ، والحنابلة) إلى أن المدينة المنورة حرم له حدود ، وأحكام تختلف عن سائر البقاع ، كما تختلف عن الحرم المكي في بعض الأحكام ، وذلك لما ورد في الحديث أن النبي ﷺ

---

(١) فتح الباري ٣٠٦/١٣ ، باب الاعتصام بالكتاب والسنة .

(٢) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ١٠ : ٤٢١ .

(٣) رواه الترمذي برقم ٤٢٠٠ ، وقال الألباني : صحيح .

قال : "إني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ، وإني دعوت في صاعها ومدها بمثل ما دعا به إبراهيم لأهل مكة"[1] . فمعنى هذا لا يحل صيدها ، ولا يعضد شجرها[2] .

فضل بلاد الشام :

من ينظر إلى بلاد الشام يجد أن النصوص الشرعية قد ذكرت بركة وفضل بلاد الشام على وجه العموم . وفضائل المسجد الأقصى ، وبيت المقدس على وجه الخصوص .

أ-من القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [3].

وقال تعالى : ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [4] .الأرض التي باركنا فيها "الشام"[5] .

وقال تعالى : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ [6] .

---

(١) رواه مسلم ٢ : ٩٩١ من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم .

(٢) مغني المحتاج ١: ٥٢٩ ، الشرح الصغير ٢/١١١ ، وانظر : الموسوعة الفقهية ١٨ : ٢٠٢ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ١ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٧٠-٧١ .

(٥) جامع البيان لابن جرير الطبري ١٠-٤٧ ، وما بعدها .

(٦) سورة التين : الآية ١-٣ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (٢) .

قال ابن كثير في تفسيره : "وقال بعض الأئمة : هذه محال ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبيًا مرسلاً من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار : (فالأولى) محلة التين والزيتون ، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم عليه السلام ، و(الثاني) طور سنين ، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران ، و(الثالث) مكة ، وهو البلد الأمين ، الذي من دخله كان آمنًا وهو الذي أرسل فيه محمدًا ﷺ (٣) .

وذكر عبد الرحمن السعدي – رحمه الله – كلامًا مشابهًا لهذا الكلام ، ثم قال : "فأقسم تعالى بهذه المواضع المقدسة ، التي اختارها ، وابتعث منها أفضل الأنبياء وأشرفهم"(٤) .

ب–من الأحاديث النبوية :

وإليك بعض الأحاديث التي تبين فضل أرض الشام ، فعن زيد بن ثابت الأنصاري – ﷺ – قال : "سمعت رسول الله ﷺ يقول : "طوبى للشام : يا

(١) سورة المائدة : الآية ٢٠ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٢١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤ : ٥٦٢ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٧ : ٦٤٨ .

طوبى للشام : يا طوبى للشام" ! قالوا : يا رسول الله ؛ ولم ذلك ؟ قال : "تلك ملائكة الله باسطو أجنحتها على الشام"(١) .

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال : "اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا" .

قالوا : وفي نجدنا ، قال : "هناك الزلازل والفتن وبها – أو قال – فيها يخرج قرن الشيطان"(٢) .

فالشام مهد الرسالات السماوية ، والمسجد الأقصى فيها منارة من أجل الدعوة إلى توحيد الله تعالى ، وهو المسجد الثاني الذي وضع في الأرض بعد المسجد الحرام ، وهو أولى القبلتين ، ومسرى الرسول ﷺ ، وهو محل لدعوات رسل الله تعالى : إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، وموسى ، وصلَّى رسولُ الله ﷺ بالنبيين فيه ، وكذبه كفار قريش ، وصدقه أبو بكر الصديق ﷺ .

فهذه أدلة ثابتة بالكتاب والسنة على فضل مكة والمدينة وبيت المقدس ، وقد فضلها رب العالمين على غيرها من الديار ؛ لحكمة أرادها سبحانه ولورود قدرته وحكمته .

المبحث الثالث : حكم شد الرحال إلى المساجد الثلاثة

هذا ، وبعد أن انتهيت من بيان فضل مكة ، والمدينة ، وبيت المقدس ، رأيت من الواجب أن أوضح أن الشريعة أجازت شد الرحال ، أي السفر والرحلة إلى المساجد الثلاثة : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ﷺ ، والمسجد

---

(١) رواه الترمذي برقم ٣٠٩٩ وقال الألباني : صحيح .

(٢) رواه الترمذي برقم ٣٠٩٨ وقال الألباني : صحيح .

الأقصى ، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ﷺ ، والمسجد الأقصى"[١] .

قال النووي : "فيه بيان عظيم فضيلة هذه المساجد الثلاثة ، ومزيتها على غيرها"[٢] .

وقال ابن حجر : "لكونها مساجد الأنبياء ، ولأن الأول : قبلة الناس وإليه حجهم ، والثاني : أسس على التقوى ، والثالث : قبلة الأمم السالفة"[٣] .

وقال الإمام البغوي في شرح السنة : "تخصيص هذه المساجد بما أنها مساجد الأنبياء صلوات الله عليهم ، وقد أمرنا بالاقتداء بهم ، قال الله سبحانه وتعالى[٤] : ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [٥] .

فقول البغوي – رحمه الله – فيه الأمر بالاقتداء بالرسل ، وهذا الاتباع الذي هو أصل قبول الأعمال .

ولقد فصل السندي والسبكي – رحمهما الله – أن السفر إما أن يكون لقربة فهو لا يجوز إلا إلى المساجد الثلاثة ، ولكن الزيارة للعلم ، وصلة الرحم والعلاج ، وزيارة العلماء ، والتجارة – لا ما نع منه .

فقال السندي في شرح النسائي "لا تشد الرحال : نَفْيٌ بمعنى النهي ، أو نهي ، وشد الرحال كناية عن السفر ، والمعنى لا ينبغي شد الرحال والسفر من بين المساجد إلا إلى ثلاثة مساجد ؛ وأما السفر، للعلم ، وزيارة العلماء،

---

(١) أخرجه البخاري برقم ١١٨٩ ، ومسلم برقم ٨٤٧ .

(٢) شرح مسلم للنووي ٩ : ١٠٦ .

(٣) فتح الباري ٣ : ٦٥ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ٩٠ .

(٥) شرح السنة للبغوي ٢ : ٢٣٧ .

والصالحين أو التجارة وغير ذلك فغير داخل في خبر المنع ، وكذا زيارة المساجد الأخر بلا سفر ، كزيارة مسجد قباء لأهل المدينة ، غير داخل في خبر النهي والله تعالى أعلم"[١] .

وقال السبكي : "ليس في الأرض بقعة لها فضل لذاتها حتى تشد الرحال إليها غير البلاد الثلاثة ، ومرادي بالفضل ما شهد الشرع باعتباره ورتب عليه حكمًا شرعيًا ، وأما غيرها من البلاد فلا تشد إليها لذاتها بل لزيارة أو جهاد أو علم أو نحو ذلك من المندوبات أو المباحات ، قال : وقد التبس ذلك على بعضهم ؛ فزعم أن شد الرحال إلى الزيارة لمن في غير الثلاثة داخل في المنع، وهو خطأ ؛ لأن الاستثناء إنما يكون من جنس المستثنى منه ، فمعنى الحديث : لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد أو إلى مكان من الأمكنة لأجل ذلك المكان إلا إلى الثلاثة المذكورة"[٢] .

وقال ابن تيمية – رحمه الله – : "فالسفر إلى هذه المساجد الثلاثة للصلاة فيها ، والدعاء ، والذكر ، والقراءة ، والاعتكاف – من الأعمال الصالحة ، وما سوى هذه المساجد لا يشرع السفر إليه باتفاق أهل العلم ، حتى مسجد قباء يستحب قصده من المكان القريب كالمدينة ، ولا يشرع شد الرحال إليه"[٣] .

إذن فالزيارة المشروعة هي التي شرعت في الكتاب والسنة ، فلا شد للرحال إلا إلى المساجد الثلاثة وما عداها فغير مشروع ، وذلك لعدم وجود الدليل على جوازها .

---

(١) سنن النسائي بشرح السيوطي ، وحاشية الإمام السندي ٢ : ٣٦٧ .

(٢) فتح الباري ٣ : ٦٦ .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص : ٤٣٠ .

وأهم ما يستفاد من كلام العلماء الثلاثة ما يلي :

١- المساجد التي تشد إليها الرحال فقط هي : المسـجد الحـرام ، المسـجد الأقصى ، المسجد النبوي ٠

٢- جواز الزيارة للعلم ، والعلاج ، وصلة الرحم ، والتجارة ٠

٣- تحريم شد الرحال إلى المقامات والأضرحة ٠

٤- جواز زيارة مسجد قباء لمن كان في المدينة ، أو لمن كان من أهلها ٠

* *

المطلب الثاني : التقديس المذموم

ويشتمل على أربعة مباحث هي :

المبحث الأول : الجهل في الدين ، واتباع الهوى ٠

المبحث الثاني : اتباع اليهود ، والنصارى ٠

المبحث الثالث : الوطنية ، وعلاقتها بتقديس الأرض ٠

المبحث الرابع : حرب العراق ، وما نتج عنها من فكر تقديس الأرض ٠

المبحث الأول : الجهل بالدين واتباع الهوى

لقد تطرقت فيما سبق إلى بيان جواز تقديس الأرض التي فضلها الله تعالى على غيرها ، كما فضل الله تعالى المسجد الحرام على غيره من المساجد٠ وهذا التفضيل جاء من لدن حكيم خبير ، لا دخل للإنسان فيه ؛ فهو أمر من الله تعالى ، فله الخلق والأمر ٠

وما نراه اليوم في العالم الإسلامي من تقديس لأرض شأنها شأن كل البقاع ، لا لشيء إلا لأن أحد الأولياء قد دفن فيها فأصبحت مقدسة ، فلم تضل أمة من الأمم إلا بسبب الجهل في الدين ، وضعف العقيدة ، قال شيخ الإسلام :

"ما أحدث في الإسلام من المساجد والمشاهد على القبور والآثار ، فهو من البدع المحدثة في الإسلام ، مِنْ فِعْل من لم يعرف شريعة الإسلام ، وما بعث الله به محمدًا ﷺ من كمال التوحيد ، وإخلاص الدين لله ، وسد أبواب الشرك التي يفتحها الشيطان لبني آدم ٠ ولهذا يعلم أن من كان أبعد عن التوحيد وإخلاص الدين لله ومعرفة دين الإسلام – هو أكثر تعظيمًا لمواضع الشرك ،

فالعارفون به ﷺ وحديثه - أولى بالتوحيد ، وإخلاص الدين لله ، وأهل الجهل بذلك أقرب إلى الشرك ، والبدع"[1] .

وقال ابن القيم : "من الأسباب التي أوقعت عُبّاد القبور في الافتتان بها - الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله ، بل جميع الرسل ، من تحقيق التوحيد ، وقطع أسباب الشرك ، فقل نصيبهم جدًا في ذلك ، ودعاهم الشيطان إلى الفتنة ، ولم يكن عندهم من العلم ما يبطل دعوته ، فاستجابوا له بحسب ما عندهم من الجهل ، وعُصموا بقدر ما معهم من العلم"[2] .

وأما اتباع الهوى ، فقد قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ [4] .

وهذا الذي يحصل في العالم الإسلامي اليوم من تقديس - ما هو إلا من الجهل بالدين واتباع الهوى .

المبحث الثاني : اتباع اليهود والنصارى

أصبحت أمة اليهود من المغضوب عليهم بسبب أحبارها ، ، كما ضلت أمة النصارى عن طريق رهبانها ، قال تعالي : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [5] [6] .

---

(1) تفسير سورة الأخلاص لابن تيمية ص : ٣٦٦ مجموع الفتاوى .
(2) إغاثة اللهفان ١ : ٢١٤ ، ٢١٥ .
(3) سورة الجاثية : الآية ٢٣ .
(4) سورة القصص : الآية ٥٠ .
(5) سورة الفاتحة : الآية ٧ .
(6) تفسير ابن كثير ١ : ٣٢ .

ولقد حذر الله تعالى أهل الكتاب من الغلو في الدين ، وهو تحذير للمسلمين كذلك ، قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ ﴾ (١) .

قال ابن كثير : "ينهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء ، وهذا كثير في النصارى ، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى ، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها ، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدونه ، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعموا أنهم على دينه ، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه ، سواء كان حقًا أو باطلاً، أو ضلالاً ، أو إرشادًا ، أو صحيحًا ، أو كذبًا ، ولهذا قال الله تعالى(٢) : ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ ﴾ (٣) .

فالواجب مخالفة أهل الكتاب ؛ حتى لا يقع المسلمون فيما وقع فيه هؤلاء، بل لقد حذَّرَنا اللهُ تعالى من اتباع المغضوب عليهم والضالين .

وحذر رسول الله ﷺ من الغلو في الدين فقال : إياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"(٤) .

والغلو مذموم بجميع أنواعه : سواء برفع منزلة النبي ﷺ فوق منزلته ، أو بتقديس الأرض ، ورفعها فوق منزلتها التي خلقها الله تعالى ؛ حتى وصل الحال في العالم الإسلامي إلىتفضيل أرض على أرض لا بدليل شرعي ، وإنما بهوى وبحجة دَفْنِ أحدِ الأولياء ، كما وضحت ذلك في البحث .

---

(١) سورة النساء : الآية ١٧١ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٣١ .

(٣) تفسير ابن كثير ٥٩٠/١ .

(٤) جزء من حديث ابن عباس أخرجه النسائي ٢٦٨/٥ ، وابن ماجة ٢ : ١٠٠٨ ، وابن حبان في صحيحه ٦ : ٦٨ ، والحاكم في مستدركه ١ : ٤٦٦ .

ولم يكن عند اليهود والنصارى دين ثابت وواضح ؛ وذلك لوجود التحريف ، وهو سبب رئيس في انحرافهم عن الصراط المستقيم ، فالدين لم يصل كاملاً من بعد الحواريين إلى أتباعهم ، وذلك لاضطهاد الحاكم الروماني لأتباع المسيح ، ولم تكن العقيدة على اعتقاد وصورة واحدة ؛ بل متعددة على حسب الأناجيل ؛ حيث كان العدد أكثر من سبعين إنجيلاً ، ولم تكن لغة الكتاب المقدس هي اللغة الدارجة ، وإنما كانت اللغة غريبة على الشعب حيث كانت اللغة اللاتينية ، فهذه أسباب رئيسة في وجود الاختلاف ثم نشأة الوطنية والتحريف[١] . ولقد حذر رسول الله ﷺ من مشابهتهم وموافقتهم ، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "لتتبعُنَّ سنَنَ من قبلكم ، شبرًا بشبر ، وذراعًا بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لا تبعتموهم ، قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : "فمن ؟"[٢] .

وما يحصل اليوم من تقديس للأرض هو من التشبه باليهود والنصارى، فالغلو في الصالحين قد حصل لليهود والنصارى كما في قوله تعالى : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [٣] .

فقد فسر رسول الله ﷺ هذه الآية لعدي بن حاتم ﷺ بأنهم "أحلوا الحرام فأطاعوهم ، وحرموا الحلال فاتبعوهم"[٤] .

---

(١) انظر : العلمانية ص : ٥٣ وما بعدها ، ومذاهب فكرية معاصرة ص : ٥٥٥ وما بعدها، محمد قطب – ط . الثالثة ١٩٨٨م – دار الشروق – مصر – طباعة الدار السلفية – ١٩٨٧م – الكويت .

(٢) رواه البخاري ٨ : ١٥١ ومسلم ٤ : ٢٠٥٤ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٣١ .

(٤) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص : ٩ – تحقيق محمد حامد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت .

وكذلك مشابهتهم في بناء المساجد على القبور والتبرك بها ، فإن منشأ ما ابتلي به العالم الإسلامي في : بناء المساجد على القبور ، أو اتخاذ القبور مساجد ، أو تعظيم القبور والمشاهد والأرض التي دفنوا فيها - هو لمن كان قبلنا من المغضوب عليهم والضالين ، كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا لرسول الله ﷺ كنيسة رأتاها بالحبشة ، فيها تصاوير، فسأل رسول الله ﷺ : إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة"(١) .

وكان ﷺ يحذر أمته من اتخاذ قبره مسجدًا ، فعن عائشة رضي الله عنها ، أنه ﷺ قال في مرض موته : "لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر ما صنعوا"(٢) .

وفيه أيضًا تعظيم الآثار المكانية ، وهي ما تكون ثابتة في مكانها كالقبور ، ومنها ما هو منقول كالمتاحف ، وهذه الظاهرة تحتاج إلى بحث آخر، وخاصة بعد أن أصبحت كثير من الجامعات تهتم بالتراث القديم كآثار الفراعنة أو حضارة ما قبل الإسلام وآثار الأمم السالفة ، التي عذبها الله تعالى بكفرها كعاد وثمود وفرعون .

المبحث الثالث : الوطنية وعلاقتها بتقديس الأرض

وأقصد بالوطنية : "شعور جميع أبناء الوطن الواحد بالولاء لذلك الوطن والتعصب له ، أيًا كانت أصولهم التي ينتمون إليها ، وأجناسهم التي ينحدرون منها دون النظر للدين أو اللغة أو القوم"(٣) .

---

(١) رواه البخاري برقم ١١٠ ، ومسلم برقم ٥٢٨ .
(٢) رواه البخاري برقم ٤٣٥ ، ومسلم برقم ٥٢٩ .
(٣) مذاهب فكرية معاصرة ، لمحمد قطب ص : ٥٥٤ .

فالولاء فيها للأرض بصرف النظر عن القوم أو اللغة أو الجنس ، وهذا مدعاة لتقديس الأرض دون النظر إلى أصل خلقة الإنسان ، كما ذكرت ذلك قبل قليل ، وهو سبب رئيس في البعد عن الغاية من خلق الإنسان . وهي كما قال الله تعالي : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١) .

ولقد فتح المسلمون من البلاد ما فتحوا لا لينشئوا الإمبراطورية ، ولكن لينشروا العقيدة ، ولينشئوا العدل ، ومقولة ربعي بن عامر - ﷺ - لملك الروم : "أتينا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد "هي دليل واضح على اهتمام المسلمين بنشر العقيدة ، وهي أن العبودية لله تعالى وحده ، وأن الجهاد في سبيل الله لم يفرضه لضم الأراضي والسيادة ، ولكن لإزالة الجاهلية وليحل محلها الإسلام ، ولقد أكد رسول الله ﷺ لأسامة بن زيد حينما قتل الرجل الكافر في الغزو بعد أن قال لا إله إلا الله ، فقال ﷺ : "أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله ؟ قال : يا رسول الله قالها متعوذًا ، فقال ﷺ : "أشققت عن قلبه ؟ فإني بهذا أمرت"(٢) .

أي أمرتُ بقتال الكفار حتى يقولوا لا إله إلا الله ، كما قال ﷺ : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله"(٣) .

وهذا هو أصل الولاء والبراء ، فالولاء لله تعالى ، والبراءة من الكفر والشيطان - أصل من أصول الدين يجب أن يحققها الإنسان حتى يكون مسلمًا ، كما قال ﷺ : :من وحد الله وكفر بكل ما يعبد من دون الله دخل الجنة"(٤) .

---

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٢) الحديث رواه البخاري برقم ٤٢٦٩ ، ومسلم برقم ١٥٩ .

(٣) رواه البخاري برقم ٢٩٤٦ ، ومسلم برقم ٣٣ .

(٤) رواه مسلم برقم ٣٧ .

وقد وجد في هذا العصر كثير من الناس يحبون أوطانهم كأنهم يعبدونها، حيث يجتمع عندهم في محبة الأرض وتعظيمها من الذل والخضوع والاستكانة لها دون النظر إلى الحكم الشرعي ما يشبه العبادة ، فكل من أحب شيئا : سواء كان حقيرًا كحيوان ، أو ثمينًا كموطن ، وقدمه على محبوبات الله تعالى ، فقد أشرك بالله جل شأنه ، فالأصنام كانت في السابق تظهر بصورة مادية، وتُتخذ من خشب أو ذهب أو فضة على صورة إنسان ، وقد تتخذ من حجر فتسمى وثنًا ، ولكن في هذا العصر اتخذت الوطنية والقومية والعلمانية والديمقراطية أندادًا من دون الله تعالى ، عن طريق اتخاذ الهوى سبيلاً وتشريعًا بديلاً عن حكم الله ، قال تعالى[1] : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ ، وقال[2] : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا﴾ [3] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "وإذا كانت المحبة والإرادة أصل كل عمل وحركة ، وأعظمها في الحق محبة الله ، وإرادته بعبادته وحده لا شريك له، وأعظمها في الباطل أن يتخذ الناس من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله ، ويجعلون له عدلاً وشريكًا ، علم أن المحبة والإرادة أصل كل دين ، سواء كان دينًا صالحًا أو دينًا فاسدًا ، فإن الدين هو من الأعمال الباطنة والظاهرة ، والمحبة والإرادة أصل ذلك كله"[4] .

فنحن ننكر أن تكون الأرض أو الوطنية هي الحاكمة من دون الله تعالى، ولا ننكر ما للأرض من حق على الإنسان ؛ حيث إنها الأصل بعد الله

---

(١) سورة الجاثية : الآية ٢٣ .

(٢) سورة الفرقان : الآية ٤٣ .

(٣) انظر : الشرك في القديم والحديث لأبي بكر محمد زكريا ٢ : ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، رسالة ماجستير – الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م ، مكتبة الرشد – الرياض .

(٤) قاعدة في المحبة ص : ٣١ ، ٣٢ .

تعالى في استقراره وعيشه على هذه الدنيا التي هي طريق الآخرة ، وليكون الناس شعوبًا وقبائل كي يتعارفوا كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (١) .

والوطن هو المكان الذي يحل به الإنسان ويقيم ، ومنه موطن الحرب كما في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾ (٢) .

فمواطن الحرب مقاماتها ومشاهدها ، وموطن القوم الأرض التي يقيمون فيها ، ويمارسون حياتهم عليها ، ويقولون عنها إنها موطنهم أو وطنهم، والوطن اليوم هو الحالة التي تربط بين الجماعة البشرية وموطنها(٣) .

ولقد حقق ذلك رسول الله ﷺ حين أخرجه قومه من مكة فقال : "والله لولا أن قومك أخرجوني ما خرجت" ، بل ذكر ﷺ أن أحب بقاع الأرض إليه مكة كما وضحت ذلك في البحث ، فيجب أن يفرق المسلم بين الموالاة للأرض وبين الإحسان والصلة ورغد الحياة على الأرض التي يعيش فوقها ، كما قال تعالي عن الأبوين : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ (٤) .

بل دعا رسول الله ﷺ أن يحبب الله إليه المدينة كما حبب إليه مكة(٥) ، فحب الوطن ، والحياة على أرضه ، والقيام على رفعته ، وحفظ أمنه ، والصبر على بلوائه هو ما شرعه الإسلام ووصى به .

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

(٢) سورة التوبة : الآية ٢٥ .

(٣) القومية العربية والإسلام – بحوث ومناقشات ص : ٢٣ .

(٤) سورة لقمان – الآية ١٥ .

(٥) حديث : "إن أحب البقاع ..." .

المبحث الرابع : حرب العراق ، وما نتج عنها من فكر في تقديس الأرض

لا أريد أن أخوض في بيان معتقد الفرق حول تقديس الأرض ، وخاصة في دفن الأئمة أو الصالحين في بعض البلاد ، فهناك من يفضل الكوفة ومساجدها على سائر المساجد إلا المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ ، كما يزعم ، ففي كتاب (فضل الكوفة ومساجدها) لمحمد بن جعفر المشهدي الحائري من أعلام القرن السادس الهجري ، يقول بالإسناد عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه قال : "حدثني أبي ، عن سعد بن عبد الله ، عن محمد بن عبد الله الرازي ، عن الحسن بن سيف بن عجرة ، عن أبي بكر الحضرمي ، عن أبي جعفر الباقر – عليه السلام – قال أبو بكر ، قلت له : أي بقاع الأرض بعد حرم الله وحرم رسوله أفضل ؟ فقال : يا أبا بكر هي الزكية الطاهرة ، وفيها قبور النبيين والمرسلين ، وغير المرسلين ، والأوصياء الصادقين ، وفيها مسجد سهيل الذي لم يبعث الله نبيًا إلا وصلى فيه، وفيها مظهر عدل الله ، وفيها يكون قائمه ، والقُوَّام من بعده ، وهي منازل النبيين ، والأوصياء، والصالحين"(١) .

ومن يراجع هذا الكتاب يجد من عناوينه أن تقديس الأرض بدفن الأولياء هو الأصل ، ففي بداية الكتاب باب : (ما ورد في فضل الكوفة ، وفي فضل فُراتها ، والقول عند الورود والاغتسال) .

باب : (ذكر ما جاء في الفضل في المساجد المذكورة مجملاً ومفصلاً) .

---

(١) الحديث مثبت في تهذيب الطوسي ٢ : ١٢ ، انظر : فضل الكوفة ص : ١١ ، ١٢ .

باب : (ذكر ما جاء في مسجد بني كاهل) ويعرف بمسجد أمير المؤمنين عليه السلام .

باب : (ذكر ما جاء في المسجد الجامع بالكوفة) وفيه هذا الحديث كما يدَّعون ، فعن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال : "لو يعلم الناس ما في مسجد الكوفة لأعدوا له الزاد والرواحل من مكان بعيد ، إن صلاة فريضة فيه تعدل حجة وصلاة نافلة تعدل عمرة"[1] .

وهكذا نجد عناوين الكتاب حتي يصل إلى باب (القول والعمل عند ورود الكوفة) وفيه : (إذا أردت الكوفة فاخلع ثياب سفرك ، وانزل واغتسل قبل دخولها ، فإنها حرم الله ، وحرم رسوله ، وحرم أمير المؤمنين ، فإذا أردت المضي إلى المشهد فاغتسل غسل الزيارة ، وصفة النية لهذا الغسل أن تنوي بقلبك : "أغتسلُ لدخول الكوفة مندوبًا ، وقربة إلى الله تعالى" ، وقل وأنت تغتسل : "بسم الله ، وبالله ، وفي سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله – صلى الله عليه وآله – اللهم صلِّ على محمد وطهر قلبي وزكِّ عملي ونَوِّرْ بصري – فإذا دخلت الكوفة فقل : بسم الله ، وبالله ، وفي سبيل الله ، وعلى ملة رسول الله ... ثم قبِّل التربة[2] ... " .

وفي كتاب أهل البيت يقول مؤلفه : (كارثة كربلاء جعلت كربلاء مزارًا مقدسًا عند الشيعة يَفدُ إليها في كل سنة عشرات الآلاف للزيارة من أنحاء البلاد، وفي كثير من الأحيان يوصي الشيعي في الهند ، وإيران ، وأطراف العراق أن ينقل رفاته من بلده ليدفن في كربلاء ؛ رغبة في ثواب الله وجزائه)[3] .

---

(١) انظر : فضل الكوفة ص : ٢٨ .

(٢) المرجع السابق ص : ٦٩ ، ٧٠ .

(٣) أهل البيت منزلتهم وحب الآل ، لمحمد فقيه ص : ٥٩ ، ٦٠ .

وهذا حاصل ، وكلنا يعلم ذلك وخاصة في هذا الزمن ، فنقل رفاة الميت إلى كربلاء لأجل البركة في تلك الأرض ، أو الوصية بدفن الجسد في هذا المكان ، بعد زوال حكم صدام بواسطة أمريكا وحلفائها – ظاهرة واضحة .

وظاهرة ذكر الأرض المقدسة لم تكن تسمع في إعلامنا ، ولكنه بعد حرب العراق سمعنا بذكر الأرض المقدسة كالنجف والكوفة وكربلاء ، بل إن الإعلام المرئي والمسموع والمقروء كله يذكر هذه العبارة ، والعديد من المسلمين يُجْمِعُ على أهلية هذه الأرض بالتقديس وتسميتها بالحرم ، وهذا ما نخشاه من انحراف عقيدة المسلمين عن طريق تقديس ما لا يجوز تقديسه ، وخاصة إذا لم يكن هناك دليل شرعي حول قدسية هذه البقاع . ولقد حمى المصطفى ﷺ جناب التوحيد ، ونبه على عدم اتخاذ قبره مسجدًا يعبد من دون الله تعالى ، فقال وهو في فراش مرضه الذي مات فيه : "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"(١) .

ولقد دفن رسول الله ﷺ في حجرته وبيته ، ولم يدفن في المسجد ، والفرق بين البيت والمسجد هو ما يعرفه كل مسلم ، فإن المسجد يعتكف فيه والبيت لا يعتكف فيه ، وكان ﷺ إذا اعتكف يخرج من بيته إلى المسجد ، ولا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان ، والمسجد لا يمكث فيه جُنُب ولا حائض ، وبيته كانت تمكث فيه عائشة وهي حائض ...

وقد ذكر الله تعالى "بيوت النبي" في كتابه ، وأضافها تارة إلى الرسول ﷺ ، وتارة إلى أزواجه ، وليس لتلك البيوت حرمة المسجد وفضيلته ، وفضيلة الصلاة فيه ، ولا تشد الرحال إليها ، ولا الصلاة في شيء منها بألف صلاة ،

---

(١) الحديث رواه البخاري برقم ٣٤٥٣ ، ومسلم برقم ٥٢٩ .

ومعلوم أن الرسول ﷺ في حال حياته كان هو وأصحابه أفضل ممن جاء بعدهم وعبادتهم أفضل من عبادة من جاء بعدهم ، وهم لما ماتوا لم تكن قبورهم أفضل من بيوتهم التي كانوا يسكنونها في حال الحياة ، ولا أبدانهم بعد الموت أكثر عبادة لله وطاعة مما كانت في حال الحياة .

والله تعالى قد أخبر أنه جعل الأرض كفاتًا[1] ، أحياءً وأمواتًا ، أي تَكْفِتُ الناس أي تضمهم أحياء على ظهرها ، وأمواتًا في بطنها ، وليس كَفْتُهُمْ أمواتا بأفضل من كفتهم أحياء . ولهذا تستحب زيارة أهل البقيع ، وأحد، وغيرهم من المؤمنين ، فيدعى لهم ، ويستغفر لهم ، ولا يستحب أن تقصد قبورهم لما تقصد له المساجد من الصلاة والاعتكاف وغير ذلك ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : "أحب البقاع إلى الله المساجد" ، فليس في البقاع أفضل منها ، وليست مساكن الأنبياء لا أحياء ولا أمواتًا بأفضل من المساجد ، هذا هو الثابت بنص الرسول ﷺ ، واتفاق علماء أمته[2] .

وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام هو عقيدة المسلمين ، حيث فرق بين مسجده ﷺ وبيته وبين زيارة قبره ﷺ وتقديسه في شريعته ، وتقديس القبر بعد موته ، فالأرض تفضل كما وضحت في المبحث الثالث بدليل شرعي أو بقدر ما فيها من طاعة لله ولرسوله ﷺ " "فقد يكون مقام الرجل في أرض الكفر والفسوق من أنواع البدع والفجور أفضل : إذا كان مجاهدًا في سبيل الله بيده أو لسانه ، آمرًا بالمعروف ، ناهيًا عن المنكر .. ولهذا كان المقام في الثغور بنية

(١) الكفات : الموضع الذي يُكفتَ فيه شيء أي يضم ، ومنه قوله تعالى "ألم نجعل الأرض كفاتًا أحياءً وأمواتًا – الرازي / مختار الصحاح (ك ف ت) .

(٢) الفتاوى ٢٧ : ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

المرابطة في سبيل الله تعالى أفضل من المجاورة بالمساجد الثلاثة باتفاق العلماء"[1] .

فالإقامة إذا كانت في أرض تزيد في إيمان العبد وتقواه ، فهي أفضل بلا شك من أرض تكون الطاعة لله ولرسوله دون ذلك ؛ فحديث النبي ﷺ في الرجل الذي قتل مائة نفس قد اختلف فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقيس مكان موته بين الأرض التي فيها طاعة لله ، والأرض الأخرى العاصية، فقرب رب العالمين أرض الطاعة ، فكان لملائكة الرحمة[2] .

وهذا دليل على تفضيل الأرض التي تكون سببًا في طاعته تعالى وزيادة الإيمان ، ولا يقاس هذا على ما يحصل في العالم الإسلامي من تقديس بعض الأوطان ، وذلك لوجود بعض الأضرحة للأولياء .

فهذا التقديس مما حاربه الإسلام وحرّمه ، وهو أساس دين الرسل ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [3] ، وما يحصل للعالم الإسلامي هو رجوع لتقديس ما لم يقدسه الشرع ، فعلى العلماء وطلبة العلم التحذير من هذه الظاهرة، ودراسة أسبابها وكيفية محاربتها وإنكارها حتى لا تنتشر بين المسلمين ، ونسأل الله الهداية .

* *

---

(١) الفتاوى ٢٧ : ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) الحديث رواه مسلم برقم ٢٧٦٦ .

(٣) سورة المؤمنون : آية ٣٢ .

الخاتمــة

لقد ابتلي المسلمون على مر العصور بتكالب الأمم عليهم ، وقد أخبـر الله تعالى بذلك في كتابه العزيز فقال : ﴿ وَلَـن تَرْضَـى عَنـكَ الْيَهُـودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [1] . وهذه سنة إلهية كونية حتى قيام السـاعة ، ولكن ما نراه اليوم في العالم الإسلامي من ضعف ، وخور في مجال العقيدة لا ينكره عاقل ، حتى تحقق قول النبي ﷺ : "لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس على ذي الخلصة" (رواه الشيخان) .

وقد هُدِمَ في زمن النبي ﷺ – كما في حديث مسـلم ، والمعنـى أنهـم يرتدون ، ويعودون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان فيسعى نسـاء بنـي دوس طائفات حول ذي الخلصة فترتج أعجازهن .

"حدثنا إسحق بن إبراهيم ، أخبرنا جرير عن إسماعيل بن أبي خالـد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله البجلي ، قال : قال لي رسـول الله ﷺ : يا جرير ! ألا تريحني من ذي الخلصة "بيت لخثعم كان يدعى كعبـة اليمانية" . قال فنفرت في خمسين ومائة فارس – وكنت لا أثبت على الخيل ، فذكرت لرسول الله ﷺ ، فضرب يده في صدري فقال : "اللهم ثبتـه ، واجعلـه هاديًا مهديًا" . قال فانطلق فحرقها بالنار ، ثم بعث جرير إلـى رسـول الله ﷺ رجلاً يبشره ، يكنى أبا أرطاة ، منّا ، فأتى رسول الله ﷺ فقال له : ما جئتـك حتى تركناها كأنها جمل أجرب ، فبارك رسول الله ﷺ علـى خيـل أحمـس ورجالها، خمس مرات" .

---

(١) سورة البقرة : آية ١٢٠ .

ولقد وضحت في البحث أن الله تعالى فضل بعض البلاد على بعض ، ففضل مكة ، والمدينة ، وبلاد الشام على سواها من البلاد - وأن الصلاة في المسجد الحرام لا كغيرها من المساجد ، بل واتفق العلماء على أن أشرف بقعة هي البقعة التي دفن فيها الرسول ﷺ ، ولكن ليس المعنى تقديس البقعة لأنه لم يرد نص شرعي بتقديسها .

ولا تشد الرحال إلا إلى المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ﷺ ، والمسجد الأقصى ، وكل هذا من المشروع ويجوز تقديسه ، لأن الله تعالى فضل ذلك واختاره ، وهو من التقديس الممدوح ، ولكن أن تُقَدَّسَ بلاد بحجة من دفن فيها من الأنبياء والصالحين ، فهذا من أبطل الباطل ، ومدعاة إلى الشرك والابتعاد عن الدين الصحيح . ولأجل ذلك كانت رسالة الرسل : أن اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا ، بل وحفظ الرسول ﷺ جناب التوحيد وحماه فقال ﷺ : "لا تجعلوا بيوتكم قبورًا ، ولا تجعلوا قبري عيدًا ، وصلوا عليّ ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنت (رواه أبو داود) .

ولقد بوب الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى - بابًا في كتاب التوحيد سمَّاه : (حماية المصطفى لجناب التوحيد) ؛ فكان الواجب على علماء الأمة بيان هذا التساقط في جانب العقيدة ، وتوضيح خطر الشرك والغلو؛ فسبب كفر بني آدم هو تركهم لدينهم وشركهم ، والغلو سبب في بدعتهم والمخالفة في كل شيء ؛ فعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله" .

فالرسول ﷺ قد حذر أمته من الوقوع في الشرك ، فهو محبط للأعمال وسبب في الخلود في النار والعياذ بالله ، وما نتج اليوم في العالم الإسلامي ، وخاصة بعد الحرب على العراق - هو ما يندى له الجبين ، فكان من اللازم

بيان مشروعية هذا العمل بين الحل والحرمة ، ولا يمكن بيانه إلا إذا علم المسلم مشروعية هذه الأعمال ، وهذا ما حققناه في بحثنا هذا ، ورأيت أنه من الواجب بيان ما استخلصت من نتائج في النقاط التالية :

١- الرجوع إلى الدين والتمسك بالكتاب والسنة قولاً وعملاً ٠

٢- التبعية والتقليد للأمم السابقة ، سواء الديانات الوضعية أو الإلهية المحرفة ، سبب رئيس في البعد عن التوحيد ٠

٣- الجهل وضعف علماء الأمة في بيان الدين من الأسباب التي أدت إلى الابتداع وطمس الدين ٠

٤- ظهور التيارات المعادية للدين كالوطنية والديمقراطية ، وحرص المجتمع الإسلامي على الإيمان بها ، سبب من الأسباب٠

٥- الشرك وخطره بين المسلمين وحاجة المسلمين إلى بيانه ٠

* *

المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم •

٢- إتحاف الأنام في فضائل المسجد الأقصى والشام – تأليف أبي عبد الرحمن المقدسي هشام بن فهمي العارف ، إصدار لجنة العالم الإسلامي ، جمعية إحياء التراث – ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م – الكويت •

٣- الأحكام السلطانية للماوردي •

٤- إعلام الساجد بأحكام المساجد – تصنيف محمد بن عبد الله الزركشي – تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي – ط• الثانية – ١٩٨٩م •

٥- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، نشر دار المعرفة للطباعة – بيروت •

٦- الإفصاح في معاني الصحاح ، لأبي المظفر يحيى بن محمد الحنبلي (ت ٥٦٠هـ) ، منشورات المؤسسة السعدية – الرياض •

٧- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق محمد حامد الفقي – دار المعرفة – بيروت •

٨- أهل البيت •• منزلتهم ومبادئهم عند المسلمين ، محمد جواد مغنية ، الطبعة الثانية – ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م – دار الجواد – بيروت •

٩- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، للإمام الحافظ المبار كفوري ، راجعه عبد الرحمن محمد عثمان ، الناشر محمد عبد المحسن المكتبي – المكتبة السلفية – المدينة المنورة •

١٠- تفسير ابن كثير – دار الفكر للطباعة والنشر – ١٤٠١هـ •

١١- تفسير سورة الإخلاص ،لابن تيمية ، تعليق د• عبد المجيد ماجد ، دار الريان للتراث ، الطبعة الأولى – ١٤٠٨هـ – القاهرة •

١٢- تفسير القرطبي ٠
١٣- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – تأليف العلامة عبد الرحمن ابن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ) – تحقيق محمد زهرى النجار – ط٠ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية – السعودية ٠
١٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تأليف أبى جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٢١٠هـ) – دار الفكر – لبنان – ١٩٨٨م ٠
١٥- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشيته للإمام السندي، تحقيق التراث الإسلامي – دار المعرفة ، الطبعة الثانية – ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م – بيروت ٠
١٦- شرح السنة للإمام الحسن بن مسعود البغوي – تحقيق شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي – الطبعة الثانية – بيروت ٠
١٧- الشرك في القديم والحديث ، تأليف أبي بكر محمد زكريا ، مكتبة الرشد ، الطبعة الثانية – ٢٠٠٠م – الرياض ٠
١٨- صحيح البخاري – دار احياء التراث العربي – بيروت ٠
١٩- صحيح سنن ابن ماجة ، مكتبة التربية العربية لدول الخليج ، المكتب الإسلامي – ١٩٨٨م – بيروت ٠
٢٠- صحيح سنن الترمذي ، مكتبة التربية العربية لدول الخليج ، المكتب الإسلامي ، ١٩٨٨م – بيروت ٠
٢١- صحيح مسلم بشرح النووي – المطبعة المصرية – مصر ٠
٢٢- العلمانية ، د٠ سفر الحوالي ، الدار السلفية – ١٩٨٧م ، الكويت ٠
٢٣- الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم النجدي ، وابنه محمد ، طباعة الهيئة العامة للرئاسة والإفتاء ، المملكة العربية السعودية ٠

٢٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، المكتبة السلفية ٠

٢٥- فضل الكوفة ومساجدها ، تأليف محمد بن جعفر المشهدي الحائري ، تحقيق محمد سعيد الطريحي ، دار المرتضى - بيروت ٠

٢٦- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، تحقيق د٠ محمد بن ربيع الزهاوي ، مطبعة مكتبة لينة - ١٤٠٩هـ - مصر ٠

٢٧- القومية العربية والإسلام ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية لمجموعة من المؤلفين ، نشر مركز دراسات الوحدة العربية - الطبعة الثالثة - ١٩٨٨م، بيروت ٠

٢٨- لسان العرب ، لابن منظور ٠ دار صادر - بيروت ٠

٢٩- مذاهب فكرية معاصرة - محمد قطب - ط٣ - ١٩٨٨م - دار الشروق- مصر ٠

٣٠- معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الأزدي ، وضح حواشيه إبراهيم شمس الدين ، منشورات دار الكتب العلمية - ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م - بيروت ٠

٣١-المعجم الوسيط - تأليف مجمع اللغة العربية بمصر ، تقديم إبراهيم مصطفى وغيره - دار الدعوة - ١٣٨٠هـ ٠

٣٢-المغني لابن قدامة - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٩٨٣م ٠

٣٣-الموسوعة الفقهية - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت - ط٠ الثانية - ١٩٩٠م ٠

* * *